الأهرام

المصدر: الاهرام الاقتصادى

التاريخ : ١٦ ديسمبر ٢٠٠٢

المجموعة المصرية لمناهضة العولمة

يتقدم مجتمع بدون الحوار، والاستقرار على كلمة سواء على ماتختلف فيه الاتجاهات السياسية والفكرية المختلفة، ولكن ذلك الحوار «البناء» لايتحقق ما لم يكن هناك أولا توافقا على لغة الحوار، وعلى المعلومات الأساسية التى تسمح بالتحليل وتكوين أرض مشتركة حول «الحقائق» التى ينبغى تبادل الرأى فيها. ومنذ أسابيع بدأت دون قصد سلسلة حول العولمة بدأت بتناول مجموعة من الأخبار المنشورة فى الصحف حول المجموعة المصرية لمناهضة العولمة بمناسبة تحركها المضاد لزيارة رئيس البنك الدولى لمصر، وبعدها ناقشت فكرها الذائع ممثلا فى كتاب الصديق الدكتور جلال أمين عن «عولمة القهر». ودون قصد ايضا وجدت الموضوع مستمرا عندما وجدت مجموعة من الوثائق التى تشير إلى أن اتجاه العولمة لايزال ناميا فى العالم خاصة بين الدول المتقدمة فى الامريكتين وأوروبا ومنطقة آسيا الباسفيك.. وليس سرا على أحد أننى من هؤلاء المتحمسين للعولمة التى أراها على عكس كثيرين خطوة متقدمة فى التاريخ البشرى من حيث قدرتها على التعامل مع المشاكل الأساسية للبشرية، ولكن «الخطوة المتقدمة» فى تاريخ البشرية ليست «الجنة»، وليست المدينة الفاضلة وليست يوتوبيا من أى نوع وإنما هى مرحلة أخرى إلى الامام تولد مشاكل ومعضلات للإنسانية ينبغى حلها. ومن خلال هذا الحل تتقدم مرة أخرى، وهكذا. كان ذلك هو جوهر الفكر التقدمى الجدلى فى كل العصور حتى جاء التقدميون من العرب فى آخر العصر لكى يطرحوا فكرا جديدا يجعل ماهو تقدمى رجعيا بالضرورة.

ولكن حتى لانسبق الحوار والنقاش فان **المجموعة المصرية لمناهضة العولمة** تفضلت مشكورة بالرد على مانشرته فى هذا المكان فى رسالة تعلق على ما أبديت من وجهات نظر بالاضافة إلى ورقة صغيرة تحت العنوان المثير «**لن يحكمنا البنك الدولى**».. وفيما يلى نص الخطاب:

... نود أن تتفضلوا بنشر هذه السطور تعليقا على نقاط مهمة أثرتموها، لعل هذا التعليق يضيف شيئا إلى النقاش حول الخيارات المطروحة على مصر فى ظل العولمة.

أولا: تأسست حركة أجيج بمبادرة من مجموعة من الشباب لاقت قبولا لدى بعض المثقفين والطلاب ونشطاء المجتمع المدنى ونقابيين يساريين مما اسفر عن اجتماع تأسيسي فى يونيو الماضى اعلن عن قيام حركة أجيج أى أن ماورد فى مقالكم عن أن الحركة يقودها المفكر سمير أمين والدكتور جودة عبدالخالق والمناضل البريطانى ضد الحرب وضد العولمة جوناثان نيل هو غير دقيق.. والحقيقة ان الحركة ليس لها قيادات ولا زعماء ونحن لانود أن نضيف الى الحياة السياسية والفكرية فى مصر زعماء جدد يتربعون على قمة اشكال هرمية سلطوية ليس لها تأثير على الواقع الحى بعبارة أخرى

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

تعمل مجموعتنا بنظام الشبكة network أى مجموعات صغيرة مترابطة وليس بنظام الأشكال الهرمية التى تعمل بأوامر من أعلى وفى هذا الاطار أنتم على صواب حين ذكرتم مامعناه ان مجموعتنا تجلى من تجليات العولمة.فنظام الشبكة الذى تتبناه مجموعتنا ليس من بنات افكارنا، ولكنه مستوحى من طرق عمل العديد من الحركات الاجتماعية الجديدة فى أوروبا، وقد اثبت بالفعل نجاحا باهرا فى تعبئة مئات الآلاف من المواطنين ضد بعض السياسات اليمينية فى الوقت الذى تعانى فيه الأحزاب التقليدية، يسارية أو يمينية من تقلص العضوية. وهذا يعنى انه على الاقل من الناحية الحركية تقدم مجموعة أجيج شكلا جديدا من الحركية السياسية، من المهم الالتفات اليه لتبين مدى قدرته على تحقيق النجاح فى الواقع المصرى.

(ملاحظة أولى: اذا كانت المجموعة احد تجليات العولمة فلماذا يكون موضوعها مناهضة العولمة وليس مناهضة مجموعة من السياسات بعينها تراها لاتعين قضية التقدم او النهضة أو أى قضية أخرى؟ بعبارة أخرى هل تريد المجموعة المصرية مناهضة او القضاء على الظاهرة الاجتماعية التى افرزتها من الاصل وليس ذلك على سبيل النقيض، وإنما من اصل النسيج الاجتماعى القائم على شبكات متعددة للتكنولوجيا والشركات متعددة الجنسية والصناعات المختلفة والجمعيات الأهلية.. الخ).

ثانيا: ليست مجموعتنا حزبا سياسيا، بل هى مظلة تجمع العديد من المشارب الفكرية التى يغلب عليها الطابع اليسارى وان كانت أجيج تضم غير يساريين واذا كان معظم الاعضاء من اليسار فهذا ليس له علاقة برغبة المؤسسين. على العكس نحن نرغب بشدة فى جذب مواطنين عاديين لاينتمون الى اليسار، ولكن يشاركوننا فى شعارنا الاساسى (عالم افضل ممكن) ولكن انتم تعلمون جيدا مشاكل العمل العام فى مصر، والصعوبة الشديدة فى اقناع الناس بان هناك جدوى من الحركة بل من التفكير اصلا نقول ذلك لان مقالتكم تترك انطباعا بان مجموعتنا ماهى إلا عادة انتاج للحركة اليسارية المصرية التقليدية برطانتها المعروفة وهذا للحق اجحاف بجيل جديد من النشطاء، وبفكر جديد يعتقد أنه من الممكن النجاح فى تعبئة الناس على ارضية خطاب موضوعى عقلانى نعم العريضة ضد البنك الدولى التى اقتطفتم منها بعض العبارات تتسم بالبساطة والانشائية ولكنها فى النهاية عريضة سياسية لايمكنها تحمل لغة تحليلة رصينة ولكن اذا نظرتم إلى الورقة التى اعددناها ضد البنك الدولى (مرفقة بهذا الخطاب) ستجدون لغة أخرى تحدد بدقة لماذا نحن نعارض البنك الدولى لا ليس من العيب ان نقول لن يحكمنا البنك الدولى كما ذكرتم فى مقالتكم نعم مصر دولة مستقلة وذات سيادة كما قلتم ولكننا نستخدم يحكمنا بالمعنى المجازى بمعنى ان النخبة الحاكمة فى مصر ليست لديها القدرة على تصميم سياسة اقتصادية خلاقة، هى فقط تنظر الى المنتجات الفكرية للمؤسسات المالية الدولية، فتنفذ ماتراه صالحا، وترفض ماتراه يمثل خطرا على «السلام الاجتماعى».

(الملاحظة الثانية: إذا كانت المشكلة هى النخبة الحاكمة فى مصر

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

فلماذا لايوجه لها النقد مباشرة،ولماذا استبدالها بالبنك الدولى حيث أن ذلك يخرجنا الى موضوع «آخرون آخرين» يشكلون البنك منها دول كبرى أوصغرى وإذا كان البنك حاكما- حتى بالمعنى المجازى- فلماذا لانطالب مباشرة بالانسحاب منه وسحب نصيب مصر فى البنك ونتخلص من الموضوع كله بضربة واحدة. الأهم من ذلك ما هو الفكر «الآخر» المراد تبنيه، ومن يتبناه فى العالم، وببساطة فإن العالم بما فيه من هنود وصينيين ويابانيين وأوروبيين وأمريكيين وغيرهم فيه ثلاثة أنواع من الفكر الاقتصادى : الرأسمالية وتعبيراتها الراهنة هى العولمة، والفكر الاشتراكى الذى لايزال موجودا فى كوريا الشمالية والى حد ما كوبا والعراق وسوريا وهناك الفكر الذى بين هذا وذاك ويأخذ سوءاتهما معا).

ثالثا: ليس فى تعرض بياننا لقضية العراق إقحاما ليس له علاقة بالعولمة وسننشط فى الدفاع عن الشعب العراقى ضد العدوان الأمريكى فنحن نفهم العولمة الرأسمالية باعتبارها ظاهرة اقتصادية سياسية وعسكرية لايمكن إغفال أن المصالح الاقتصادية الأمريكية هى عنصر مهم جدا فى تصميم السياسة الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط. المشكلة ليست فقط فى لوبى صهيونى يسيطر على صنع القرار فى واشنطن بل هى مصالح اقتصادية مصالح الشركات الأمريكية الكبرى إذن فمقاومة العولمة المستبدة يتطلب مناهضة سياسة الولايات المتحدة التوسعية.

(ملاحظة ثالثة: كل ذلك لايقول شيئا عن علاقة البنك الدولى بموضوع العراق، ولاحتى يقول لنا لماذا تنتج العولمة «المستبدة» جماعة مثل جماعات مناهضة العولمة .أما إذا كان المطلوب هو الدفاع عن الشعب العراقى فذلك أخلاقى ومطلوب ولكن هل استطعنا رأى الشعب العراقى فى مناطق الأكراد، والشيعة، والأربعة ملايين عراقى فى المنفى،وعرفنا مدى تأييدهم للنظام الحالى ولكن المشكلة الأكبر أن التحرك الأمريكى الحالى يتم من خلال قرار «جماعى» من مجلس الأمن شارك فيه الروس والصينيون والسوريون وغيرهم فلماذا اللوم للولايات المتحدة الأمريكية وحدها فى الموضوع وإذا كان كل هؤلاء أدوات أمريكية فكيف نحل هذه المعضلة أن نكون نحن وحدنا فى جانب وبقية العالم- ما عدا المناهضين للعولمة فى جانب آخر).

رابعا : نعم نحن نعانى من آفة كل حركات مناهضة العولمة ومناهضة الرأسمالية وهى أننا نعلم بدقة مانرفضه ولكننا لم نتوصل بعد إلى بديل واقعى قادر على حشد الناس على أرضيته ولكننا نتحلى بفضيلة على الأقل وهى أننا نطرح الأسئلة الصحيحة ونحاول الإجابة عليها عن طريق التفاعل الفكرى والحركى مع الجميع .القضية الأساسية بالنسبة لنا هى أن العالم شهد فى العقدين الأخيرين من القرن الماضى تحولات أدت الى زيادة سطوة رجال الأعمال وتنامى نصيبهم من الثروة العالمية فى الوقت الذى تقلصت فيه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

د.عبد المنعم سعيد

المكاسب الاجتماعية للطبقات الوسطى والعاملة. البلدان الوحيدة التى أفلتت من تلك الظاهرة هى ما يسمى بالنمور الآسيوية وهذه قصة أخرى والأكيد بالنسبة لنا هو هو أن المؤسسات المالية الدولية لعبت دورا مهما فى صياغة ونشر السياسات النيوليبرالية المعادية للمكتسبات الاجتماعية للطبقات الوسطي والفقيرة . ومن هنا يأتي عداؤنا للبنك الدولي .المهم أن نرى أن تلك السياسات اليمينية لها طبيعة عالمية لذلك فإن مناهضتها لايمكن أن تنجح إلا إذا اتخذت صفة العالمية والحقيقة أن المشكلة في مصر مزدوجة فهى ليست فقط إعادة توزيع الكعكة بل أيضا زيادتها والحق يقال أن النخبة المصرية الحاكمة فشلت فى الاثنتين لم تصبح نمرا على النيل كما وعدونا ولم نقلل من نسبة الفقر والبطالة التى تضرب شريحة كبيرة من المصريين والحق يقال أيضا أن أحد لم يكتشف الوصفة السحرية للتنمية .أى الإجراءات التى لو طبقناها لأصبحنا نمرا جديدا لايستطيع أحد أن يزعم أنه اكتشف المعادلة لا الدولة فى مصر ولا البنك الدولى ولا أنتم يادكتور مع كل ماتتحلون به من معرفة نظرية وقدرة تحليلية ويقظة فكرية ولكن الأكيد بالنسبة لنا أن التنمية الاقتصادية لاتنحصر فى المزج الماهر بين بعض المتغيرات الاقتصادية. التنمية هى عملية سياسية بامتياز ترتكز علي قدرة الدولة على التعبئة السياسية وعلى خلق مؤسسات جديدة وقوية وعلى إعادة صياغة العلاقات بين المؤسسات القائمة أى قدرة الدولة على أن تجدد نفسها هذا لم يحدث لأن الحكومة التى تسيطر على جهاز الدولة منذ سنوات طويلة. لقد جربنا طويلا التحديث من أعلى على يد دولة محمد على التى لاتزال قائمة حتى اليوم نجحنا حينا وفشلنا فى معظم الأحيان فهل لنا أن نجرب التغيير من أسفل ؟....

(ملاحظة رابعة: فى كل ماسبق هناك دعوة للحوار الموضوعى وربما تكون نقطة البداية فيه أنه لاداعى أبدا لإعادة اختراع العجلة أكثر بعد حصولها على الاستقلال وهناك بلدان تقدمت في العالم ، وبلدان اخري تأخرت ، وحتي تأخرت اكثر بعد حصولها علي الاستقلال ، وهناك بلدان كانت مسيرتها تقدما أحيانا وتأخرا فى معظم الأحيان. البلدان التى تقدمت- وتبلغ حوالى ٧٤ دولة من دول العالم- معادلتها معروفة وهى اقتصاد السوق والنظام الرأسمالى وربما أيضا نظاما سياسيا ليبراليا على الأقل فى مرحلة التقدم. أما البلدان الأخرى التى بقيت متخلفة أو راوحت فى مكانها وعددها ٨١ دولة فى تلك التى تقوم على درجة من درجات التعبئة السياسية وتتحكم فيها الدولة فى العملية الاقتصادية والسياسية وحتى الفكرية. نعم لابد من التنمية من أسفل ولكن الأسفل هذا هو السوق للسلع والبضائع ومهارات البشر والأفكار السياسية والأصوات وللحديث على أية حال بقية.!!)

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية